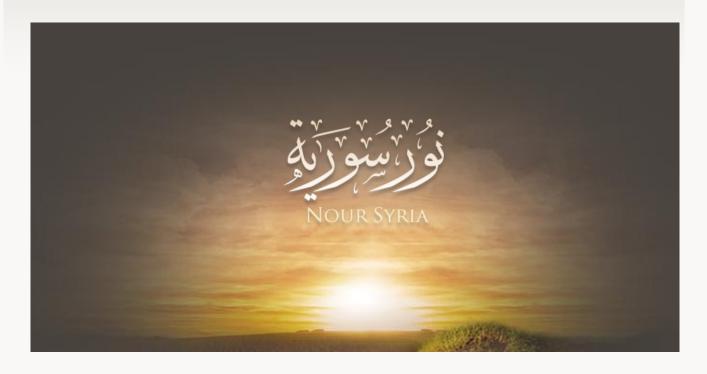
ملحمة الشام الكاتب : سفر الحوالي التاريخ : 25 فبراير 2012 م المشاهدات : 4708



يا شام هل يحجز الأشواق قضبان؟ *** أم يحجب الطيف أسوار وجدران قد استوينا فكل رهن محبسه *** للظلم من حوله سوط وسجان لنا إذا هبت الأنسام لاعجة *** من حرقة الوجد فالأكباد نيران يغشى الأسى ناظرينا كلما ومضت *** في الأفق بارقة تخبو وتزدان إذا تألق في عليائها أملٌ *** هوى إليه هوى وانساب ألحان لا عتب أن فرقتنا للنوى سبل *** فالدهر ذو دولة والوصل ميان وهكذا تنضب الأرواح نازفة *** بكل جرح مرارات وأشطان لم يبق إلا صبابات نجاذبها *** لا ترتوي فالجوى باليأس حران نباكر الغَمُّ في الإصباح متقداً *** وفي العشية آهات وأشجان تطير أرواحنا شوقاً ولو قدرت *** طارت إليكم مع الأرواح أبدان أنتم ندامى الهوى ما للهوى بدل *** منكم إذا سامر المشتاق ندمان لسنا من الحب في شيء لو انصرفت *** عنكم صبابتنا أو ضل وجدان نسلو الحياة ولا نسلو تذكركم *** وهل تداوى بغير الذكر ولهان وحسبكم أنكم في القلب مسكنكم *** حيث الأسى راتع واليأس حيران عسى تراسلُ أشواق يعللنا *** وربما خفتت بالشوق أحزان أواصر الحب كلُّ الحب تجمعنا *** رغم القيود أما قد قال حسان: إما سألت فإنا معشر نجب *** الأزد نسبتنا والماء غسان وكل ناعورة بالشام نادبة *** عهد الوصال فهل للهيض جبران

* * *

الله أكبر! هذا الظلم فرقنا *** وللمقادير إيلاف وإظعان كأنه لم يكن بالمرج مرتعنا *** ولم يكن في ربى جيرون جيران ولم يكن في المضائق حراس وسكان ولم يكن في الثغور الغر مرصدنا *** وفي المضائق حراس وسكان وفي السواحل نيران وأربطة *** وفي الجزيرة أحباب وإخوان وفي المدائن أنساب مؤلفة *** وفي العشائر أصهار وأختان وأعذب الحب ما كانت موارده بـ *** القدس، أواه هل للقدس نسيان * * * *

يا شام يا معقل الإسلام ما ركضت *** بلق الخيول ومد الظل أفنان إذا تضاءل هذا الحب عن بلد *** ففي مرابعكم فيء وأكنان تالله ما الغوطة الغناء منيتنا *** وفي مسارحها للحسن غزلان ولا رسوم لأجداد بساحتكم *** إذ كان يملكها أزد وزهران ولا صبا بردى يسبي مشاعرنا *** لكنما حبكم دين وإيمان

* * :

من البراق أصول الحبّ قد بزغت *** وقد أضاءت لها بصرى وحوران إذا سرى الطيف منكم وانثنى *** سحراً يهيج بالقلب للإسراء عنوان لله حبّ، رسول الله أسسه *** وهل لنا غيره أس وأركان وقام من بعده الصديق يورده *** والشرق والغرب نيران وصلبان بعزمة عقد الرايات مرتقباً *** بشرى الرسول وأمضى وهو عجلان وقال: إن لم نبادرهم بمعمعة *** تنسي الحلوم فلا كنا ولا كانوا والدهر ما عزم الصديق مرتجف *** والأرض مائدة والبحر طوفان إذا تحنن فالإعصار مرحمة *** وإن توعد فالأنسام حسبان يعطي وليس لمخلوق عليه يد *** إنفاقه حسبة، والعتق إحسان دع ليلة الغار فالقرآن خلدها *** تقاصرت همم عنها وأزمان

والروم قد أثخنت في الفرس عن حنق *** فالشام قلب وباقي الملك جثمان حلاوة النصر لا زالت تداعبها *** ونشوة النصر في الطغيان طغيان لكن قلب هرقل واهن وجل *** تصارعت فيه أنوار وأوثان لديه من سابق الأخبار عن سلف *** من النبوات آيات وبرهان شمس الرسالة هذا حين مطلعها *** فلتبتهج بسنا الرحمن أكوان "ساعير " و"الطور" للإسلام تقدمة *** والنور تعلنه في الأرض "فاران" والله يختار مما شاء مرسله *** والخلق ليس لهم رأي ولا شان والملك في فرع إسماعيل منتقل *** حتماً ولو كرهت روم ويونان

ملك الختان بدا في الأفق شاهده *** فبان أن الملوك القلف قد بانوا وأخمدت نار كسرى حين مشرقه *** واهتز بالشرفات الشم إيوان تلا كتاب رسول الله في أدب *** وقال للروم والأرصاد حيطان: هذا الرسول الذي كنا نؤمله *** فالعين نائمة والقلب يقظان وهذه الشام للمبعوث عاصمة *** للسيف ظل وللزيتون أغصان إن اتبعناه فالدنيا لنا تبع *** وسائر الناس خدام وولدان وإن أبينا فأمر الله غالبنا *** وملكنا ضائع والسعي خسران

نعمْ! "هرقلُ" لقد أسمعت ذا صمم *** لو كان للقوم آذان وإذعان أبت بطارقة الرومان موعظة *** وغلّ أحلامهم كبر وبهتان والكبر ما كان في طياته حسد *** فشر واد تردى فيه إنسان إلا "ضغاطر" إن الله أكرمه *** وقال: يا قوم إن الحق فرقان محمد نحن في الأسفار نعرفه *** فكيف يوبقنا في الكفر نكران تواترت عندنا أنباء بعثته *** فالخلق ينتظرون الإنس والجان لولاه ما هاجر الأحبار واصطبروا *** على لظى يثرب والشام أجنان وللنبوة أعلام إذا نشرت *** أصغى وأبصرها بكم وعميان وحى يصدق بعضاً بعضه أبداً *** توراة موسى وإنجيل وقرآن والحق أوله مهد لآخره *** جبريل ناموسه والرُّسْل إخوان تقدس الله أن يدعى له ولد *** أو أن يكون له ند وأعوان وكلكم عارف ما قلت فاتبعوا *** حكيمة النمل إذ وافي سليمان فأشعياء حكى أوصاف طلعته *** كما حكى صورة بالرسم فنان ودانيال فقد جاءت نبوته نصاً *** كما يبصر الإنسان إنسان وفي المزامير يأتي أحمد فإذا *** كل الجزائر والأنهار خضعان وسوف تُخدمه أقيالَها سبأ *** وسوف تتحفه بالورد لبنان ويهرع الناس نحو البيت عارية *** أطرافهم ولهم عج وألحان تهدى إليه قرابين مقلدة *** تسوقها حسبة مصر ومديان وفي شكيم له جيش ذوو غرر *** يقتص مما أراقت قبل رومان وأرض بابل يعنو سحرها هلعاً *** إذا ترنم بالتهليل عربان هم أمة الحمد والتكبير ديدنهم *** إذا علوا شرفاً أو لاح علوان وفي النهار ليوث لا يساورها *** غمر وهم في ظلام الليل رهبان هذا هو الملكوت الحق قد بزغت *** أنواره فالدجى المبهور وسنان كأننى أبصر الأملاك تحمله *** وهم صفوف لمبداه وفرقان وذا المبارك باسم الرب مقدمه *** بنوره محفل الأملاك زهوان تمت على الحجر المرفوض نعمته *** فصار تاج الذرى والدين بنيان

أيخفض الله بنياناً ونرفعه؟ *** ويصطفي الله مختاراً ونختان ويبتلي الله تقوانا فيلبسها *** من التعصب إغماط وشنآن

فمزقوه وقد كان الإمام لهم *** لكن تملكهم بغي وأضغان كانت دمشق ترى هذا وتسمعه *** كذاك أصغت لقول الحبر جولان وكل مؤتمر في أي محتضر *** غير السقيفة أسمارٌ وبطلان بكى هرقل ولكن كان ذا جلد *** وقال قولة نصح وهو لهفان يا أيها الروم إن لم تسلموا فلنا *** في الصلح خير وبعض المر حلوان وملك أحمد حد الشمس مبلغه *** والترك من جنده والصين أقنان وسوف تسجد روما وهي صاغرة *** مهما تقادم أجيال وأزمان قالوا: أندفع للأعراب جزيتنا *** أبناء هاجر هم للروم عبدان فقال: يا ليتني عبدٌ لأعسفهم مُلكاً *** ولا ملك لي فيكم ولا شان وكنت ألثم من خير الورى قدماً *** يحيى بقبلتها روح ووجدان وقد تمنى مسيح الله خدمته *** وحمل نعليه والإنجيل برهان

ثم انثنى من وراء الدرب مكتئباً *** إذ أقبلت لجنود الله فرسان وكان ما كان مما الدهر سجله *** وشاهدت آية حمص وبيسان ملاحم الحق واليرموك رايتها *** فاضت بها من روابي الشام شطآن وكلما أوقد الرومان ملحمة *** هوى لنا شهب وانقض عقبان جئنا صقوراً على شقر مضمرة *** وهم على الدهم يوم الروع غربان قد انتضينا سيوف الحق ليس لها *** في النقع إلا جسوم الروم أجفان وللبطولات أصداء مزلزلة *** سارت بها في فجاج الأرض ركبان فما تظن بجيش في نؤابته *** أصحاب بدر وسيف الله أركان ملائك الله بالإرعاب تنصرهم *** لهم من الذكر أحراز وأحصان مضي القرون ونون الدهر عاجزة *** عن كتب أمجادهم والسطر عيان ***

ودّعْ على حسرة ما كنت تعشقه *** ضاع الهوى فقد الأحلام هيمان ودّعْ على حسرة ما كنت تعشقه *** مراتع العز حيث الملك جذلان غال الحقيقة قوم أُترعوا بطراً *** كما قد اغتالها في الدير رهبان فاقنع بمشطور ملك الروم ما بقيت *** من البطاقة أطلال وعنوان ومن يعظم رسول الله يجز به *** دنيا إذا فاته دين ورضوان والحمد لله صان الله ملتنا من *** مثل ماعاث "قسطنطين" أو جان وأورث الله أرض الأنبياء لنا *** والسيف للسيف أكفاء وأقران والروم ما شئت من رأي ومن عدد *** لكنما الأمر توفيق وخذلان

وإنما خذل الرحمن مجمعهم *** كيلا يمن على الإسلام منان وكي يظلوا عدواً دائماً أبداً *** لا يستكين لهم حقدٌ وأضغان

* * *

والشام بالشوق قد أخفت شماتتها *** والحب يوقده للصب كتمان يا شام قد لاحت البشرى على ظمأ *** واستشرف الفجر أكمام وسيقان حان اللقاء فتيهى وارقصى جذلاً *** فموكب الشوق للأعراس بستان أبو عبيدة والتقوى تجلله *** هشت لملقاه آكام ووديان وعانقته دمشق وهي غارقة في *** سكرة الحب والمشتاق نشوان قالت: ألا أرتوي من مبسم سقطت *** منه فدى لرسول الله أسنان هذا العفاف وهذا الزهد أذكرني *** يحيى الرسول فقل لى كيف أزدان يا حبذا النور نور الله يغمرني *** وحبذا الجند جند الله من كانوا هذا الحواري لا ما كنت أحسبه *** إذ للنواقيس في الأرجاء إعلان هذا الأمين كنوز الأرض تطلبه *** وكم سباها من الأحبار خوان والزهد في الفاتحين الغر منقبة *** ما نالها قط عربيد ودنان سل الفتوح التي كانت شريعتها *** ما سار "اسكندرٌ" أو سن "ساسان" يا من وسادته ترس ومسكنه *** خص ومزوده ملح وأشنان ما الشام قبلك إلا مقبر خرب *** تناثرت فيه أشلاء وأكفان نور من الرحمة المهداة مقتبس *** أضاء والشام أدغال وغيران إذا تزينت الدنيا بكي فرقاً *** متاعها عنده زور وبهتان

* * *

رديفه سيد الفتيان قاطبة *** من حشو بردته علم وإيمان أغر أبيض يحكي البرق مبسمه *** وكل منطقه در وعقيان الذاكر الله إن قاموا وإن هجعوا *** الذكر روح له والصوم ريحان قل يا معاذ فأبنائي تلامذة *** إذا نطقت وزهر الربع آذان

* * *

وهامت الشام شوقاً أن ترى عمر *** هو الزعيم وهذا الصحب أعوان يا شام قد أقبل الفاروق فابتهجي *** فالجو من عبق الفاروق ريان والأرض تهتز رعباً من جلالته *** ومن مهابته في السحب رعدان سكينة الحق تعلو وجهه أبداً *** فلا يواجهه في الدرب شيطان وأينما سار في مغناك موكبه *** طابت بممشاه أعطاف وأردان محدَّث ملهمٌ جمٍّ مناقبه *** العبقرية من سيماه تزدان أستغفر الله هل شعري يحيط به *** وصفاً ولو أن هذا البحر ديوان وهو الذي طالما جادت فراسته *** رأياً فوافقه بالوحي قرآن يا حظ "جابية" بالركب قد شرفت *** وسائر الشام إصغاء وإذعان

هنالك ارتجل الفاروق رائعةً *** فيها من الحق دستور وتبيان جلًى من الخطة البيضاء منهجها *** هو اجتماع وإخلاص وإيقان

وفجأة ضبج هذا العرس وانقلبت *** أفراحه مأتماً تغشاه أحزان نادى بلال فأبكى الشام قاطبة *** الصوت مختنق والحلق غصان أثار ذكرى رسول الله فانتحبت *** وهل لذكرى رسول الله سلوان لم يستطع لاسمه لفظاً وحق له *** إذ لوعة الحزن في الأحشاء نيران فتلك أصداؤه في الشام ما سكنت *** السهل مستعبر والسفح حنان من كان في الملأ الأعلى أحبته *** فلا يعلله في الأرض خلان رمضاء مكة تتلو بعده "أَحَدُ" *** و"الله أكبر" في الآفاق رنان وصخرة القدس تدري أن فارسها *** نظير يوشع لا روم وكلدان لما تسلمها الفاروق طهرها *** كما على الطهر أبقاها سليمان

يا فاتح القدس إن القدس قد سلبت *** وغالها بعدكم "ليفي" و"دايان" وباعها الزمرة المستسلمون كما *** باع الحطيم بزق الخمر "غبشان" الله والناس والتاريخ يلعنهم *** فهم على الذل أعيار وأنتان لا دين لا غيرة لا عقل لا رشداً *** العار مكسبهم والدرب غيان على اليهود هم الأغمار خانعة *** لكن على قومهم عبس وذبيان الخزي والخسر والشحناء ديدنهم *** لا يستقيم لهم أمر ولا شان محض العداوة للإسلام يجمعهم *** وهم من الكفر أصناف وألوان ولا تراهم على خير قد اتفقوا *** وهم على الشر أنصار وأعوان مما أراقوا ومما أهدروا وطغوا *** ضجت إلى الله أفواه وأوطان كل القداسات داسوها بأرجلهم *** باسم السلام وكم ذلوا وكم هانوا حادوا عن الرشد قصداً واستبد بهم *** في لجة التيه إيغال وإمعان ***

أعفّ عن ذكرهم إذ نحن في سمر *** عن الألى ذكرهم روح وريحان صحابة المصطفى خير الورى أثراً *** ما رام منزلهم إنس ولا جان لهم أحاديث في الإخلاص لو قرئت *** على الجلاميد أمست وهي كثبان لولا الرسول لما كانوا أساتذة *** والناس من حولهم للمجد صبيان هم زينة الدهر والتاريخ يلبسهم *** تاجاً يرصعه در ومرجان لولا الرسول لما كانوا عباقرة *** فالوحي للفطرة الصماء بركان هم الهداة الألى من نور حكمتهم *** عم الحضارة إنصاف وعرفان

إن الحضارة روح ليس ما نحتت *** من التماثيل يونان ورومان

أين التسامح أين العدل إن صدقوا *** أين المواثيق هل للكفر ميزان تلك الشعارات زيف يخدعون به *** وهم على الظلم والعدوان أخدان أين المآذن في أرجاء أندلس *** إذ ظل بالشام أديار وصلبان إنا على العهد لا نختان ذمتنا *** ولا نجور وإن جاروا وإن خانوا منّا تعلّمت الدنيا كرامتها *** إذ الفرنجة قطعان وغيلان متى رعوا حرمة أو راقبوا ذمماً *** روس وصرب وإيطال وأسبان؟!! العدل في القول والأحكام شرعتنا *** إن الهوى للضمير الحي فتان هم أمنع الناس من ظلم الملوك لهم *** إلا علينا فإن الظلم إحسان وإن تر الروم فيما بينهم عدلوا *** فهم على غيرهم بغي وعدوان فانظر لأذنابهم في الشرق إن حكموا *** روم ولكنهم سمر وسودان وإنما اقتبسوا من ضوء سيرتنا *** ما أيقنوا أنه للملك أركان لولا المساواة والشورى لما غلبوا *** ولا استقر لهم في الأرض عمران ونحن لما انحرفنا صار حاضرنا *** في الجاهلية حالاً كالذي كانوا فدينهم دينه والشرع شرعته *** "الفرد" نصب وكل الناس سُدّان فدينهم دينه والشرع شرعته *** ولغوه سنّةٌ والأمر قرآن

* * *

يا شام معذرة زاغ الحديث بنا *** والهم في النفس أشتات وأشجان أكْرِمْ بقوم شروا لله أنفسهم *** فالملك عارية والروح قربان نالوا الشهادة إذ قامت وسائلها *** بكل جنب فطاعون وطعان في المرج رهط وفي عَمْواس طائفة *** حُمَّ القضاء وما للقوم أكفان ما مات قوم أبو الدرداء خَالِفُهم *** أنسى بحكمته ما قال لقمان سل قلعة النصر والإصرار هل بقيت *** من آل حاميم أصداء وبنيان إذ جاء من طيبة الغراء مصحفها *** لما اعتنى بكتاب الله عثمان الله يجزيه خيراً ما سمى *** أحد وما تألق بالترتيل نعمان لولاه كنا كأهل الدير إن قرؤوا *** "متى" يكذبه "يوحنا" و"سمعان" هذا الحكيم أبو الدرداء يقرؤه *** والناس للمشرع المورود زلفان معلم الخير بالإحسان يذكره *** في البر نمل وفي اللجات حيتان بكت دمشق زماناً من مواعظه *** وفي القلوب ينابيع وصلدان وإن ألمت به في الرأي معضلة *** يمده خابر الأديان "سلمان" يجلو قلوباً يغشِّى الران رونقها *** ويرتقي بالتي في نورها غان يجلو قلوباً يغشِّى الران رونقها *** ويرتقي بالتي في نورها غان

والتابعون من الآفاق قد وفدوا *** أزد وقيس وأنمار وخولان فللجوامع أحبار محلقة *** وللرباط صناديد وفرسان

حياك يا أمة التوحيد ما طربت *** ورق وما ثملت بالشدو أفنان ولى هرقل وولاها معاوية *** فعلًم الروم أن اليأس سلوان الحلم شيمته والغزو همته *** أرسى السفين كأن البحر قيعان ما بين شاتية تغدو وصائفة *** ما فل عزم ولا وافاه خذلان والصافنات أبو أيوب يزجرها *** وللمنايا أخاديدٌ وخلجان يا أشرف الصحب داراً طاب مضطجعٌ *** بساحة الروم نائي الدار ضحيان جعلته معلماً يذكي عزائمنا *** إذا تخبطها دنيا وشيطان ثم انبرى الخثعمي الشهم يوردها *** أصفى الموارد عزاً وهو نهلان لله هذا الفتى ما كان أعظمه *** لانت صخور الرواسي وهو صوان ستون عاماً قضاها في مرابطه *** لم توقد النار إلا وهو يقظان وفي جنادة للأعداء مأسدة *** والغامدي الأبي القرم سفيان وهل رأيت حبيباً حبه لهب *** إذا أديرت رحاها فهو طحان يا شام ساء صباح الروم قد نزلت *** بساحة الروم أهوال وشجعان ما أصبحت بالكماة الشم مترعة *** وعسها الليل إلا وهي جبان

وظل ديدننا هذا وديدنهم *** حتى اعترانا البلى والسعد ظعان هنا استبدت بنور الحق غاشية *** وسنة الله أن الزيغ غشيان ومن يزيد إلى الحجاج ما فتئت *** تشكو من الظلم أنحاء وأعيان والظلم شؤم وشر الظلم ما ولغت *** فيه الملوك وأثرى منه سلطان والناس إن بايعوا والسيف يخفقهم *** فلفظهم مادح والقلب لعان والناس تخدع من بالزيف يخدعها *** تطيعه صورة والسر عصيان والكسروية في الإسلام محدثة *** أكلما مات حرب قام مروان وفي أمية للإسلام مأثرة *** كما لهم ثلمة والله ديان إن كفَّر الله عنهم بعض ماعقدوا *** واستأثروا فبما أمضى سليمان لكن للعدل كَرَّاتٌ وإن ندرت *** تذكر الناس بالشورى متى بانوا

وكان أول وعد صادق عمر *** تبارك الله عين العدل إنسان الراشد الماجد الميمون طائره *** عليه من سمة الفاروق تيجان فأعجب له عمراً يقفو خطا عمر *** كما همى صيّبٌ يتلوه هتان يا واعظاً وعظ الدنيا بسيرته *** روح من الرشد لا حيف وإدهان والظالمون لهم يوم سيفجؤهم *** إذا تسربلهم نار وقطران

تاريخنا هكذا حيناً عمالقة *** غر وحيناً طواغيت وأوثان هذا يبيت ثقيلاً من مظالمها *** وذاك للرد والإنصاف سهران

وكم توثب فينا ثعلب خَتِلُ *** ودبر الملك قينات وخصيان وكم تحكم باسم الدين طاغية *** وكم تحكم باسم العلم كَهّان وكم رأيت دعاة الحق يقذفهم *** بلعام واستخدم الأشراف دهقان إذا تأله فرعون على ملأ *** فهل يلام على الإفساد هامان؟ وأغفلُ الناس من تغلي رعيته *** غيظاً ويحسب أن الصمت إذعان والناس ينسون إلا من يجرعهم *** مرارة الظلم ما للظلم نسيان يدسه الجد للأحفاد مستعراً *** والأم ترضعه والثدي لقان إذا الفراعين سنوا الظلم فلسفة *** تلطخت فيه أقلام وأذقان باسم السياسة حل الظلم بل نسخت *** من الشريعة أعلام وأمتان الرعب يستلب الأحلام يقظتها *** وبهرج الزيف للأنظار دخان ***

ومرَّ دهر ودنيا الشام خاملة *** منذ استبدت برأس الأمر بغدان حتى اقتضت سنة الرحمن أن طرقت *** أبوابها من جيوش الكفر صلبان وما الفرنجة إلا معشر همج *** أخنى عليه دهور وهو وسنان والدين للناس مفتاح يحركه *** باسم التعصب صديق وشيطان وربما اعتذر الشيطان _سيدهم_ *** مما افترى "بطرس" وافتات "أُربان"

والترك لما تخلى العرب قد ورثوا *** عبء الجهاد فما هانوا ولا لانوا شجاعة الترك بالإسلام قد زكيت *** ليست كما ربها خان وخاقان هم المغاوير لا ريث ولا وجل *** هم العماليق خيال وسفان لا ترتوي من دماء الروم أنفسهم *** بل نابهم لهث عنها وإدمان فإن شككت فسل عنهم عطارفة *** لما تعاورها روس وشيشان هم وحدهم قد أذاقوا الروس ملحمة *** والروس للغرب كل الغرب أقران والشام أبطالها من حاط ساحتها *** ولا تبالي متى جاءوا ومن كانوا ***

وهكذا جاء نور الدين فابتهجت *** في السهل عرس وفي الأبراج أحضان أتى إلى حلب الشهباء ينقذها *** إذ كان لطخها بالرفض رضوان وجاء بالسنة الغراء يبعثها *** هداً لكفر العبيديين إذ خانوا خمسون حصناً بحد السيف حررها *** وكلها بالعلوج الشقر ملآن قد عاهد الله أيماناً مغلظة *** وهو الصدوق وإن لم تعط أيمان ألا يُرى ساعة في الدهر مبتسماً *** ولا يقر له حال ولا شان مادام في حوزة الكفار مسلمة *** يسومها الفحش دعار ومجان ولا يظلله سقف ولا كنف *** ما قام للسيف إعمال وإثخان ما نال من بيت مال المسلمين يداً *** وإنما رزقه بالوقف دكان

وزوجه تنسج الأستار صائمة *** نهارَها وهي للإفطار أثمان دار الحديث بناها فهي سامقة *** والعلم أس وباقي الأمر بنيان ألغى المكوس وأقصى من تأولها *** والسحت مهما طغى غبن وخسران والعدل والنصر مصفودان في قرن *** ومنتهى الظلم إدبار وخذلان شر الملوك الذي يختان أمته *** في رزقها فهو مكاس ومنان قل للمرائي بلا جهد ولا نصب *** أقصر لُعنت فخير منك قزمان

وحسب محمود الأواب مفخرة *** أن الرسول أتاه وهو نعسان وقال: شأنك والعلجين إنهما *** راما أذاي كما يندس ثعبان فجاء طيبة يحدو العيس جاهدة *** وأحبط المكر فوراً وهو غيران وحاط أطهر رمسٍ من قواعده *** فالردم من آنك والقطر أركان تباً لروما فقد شابت ذرى أحدٍ *** لمكرها واقشعرت منه لبنان ***

واعجب وإن شئت قل لي كله *** عجب لمنبر صاغه تقوى وإيمان عشرون عاماً ونور الدين يحمله *** وللمهندس تجديد وإتقان من العراق إلى الأعماق يصحبه *** وما رقاه _على الإطلاق_ سحبان والجيش يسأل هذا ما يراد به؟ *** إذ جاز في الشرع للإحسان إعلان وإنما كان نذراً لا يبوح به *** للقدس، أواه هل للقدس جيران قد رام أمراً فكان الموت سابقه *** ونية الخير بالإنجاز صنوان وهذه الأمة العصماء ما شهدت *** إلا بحق وفي الأخبار تبيان باسم الشهيد لنور الدين قد لهجت *** وللكرامات في الأرواح وجدان ومن أتى الله بالإخلاص أورثه *** لسان صدق وعقبى الذكر رضوان

مرحى فهذا صلاح الدين ينجزه *** نعم الخليفة للإسلام معوان أقام حطين في التاريخ ملحمة *** يشدو بها في فضاء الدهر أكوان يا فارس القدس أرض الفتح تُقْطِعُها *** وما لنفسك مثل الجند بستان؟ كم مات من هو أدنى منك مملكة *** وكنزه العين أحمال وأطنان وأنت ترحل لا كنز ولا نشب *** ولا عقار ولا قصر ولا خان المال كالعمر في درب الجهاد مضى *** فيء ووقف وأنفال وسلبان نفسي فداء يمين منك قد فلقت *** بالسيف "أرناط" والمنذور عطشان لو افتدى بكنوز الأرض ما قُبلت *** إن نال عرض رسول الله فتان أسرت أقيال أوروبا وتعتقهم *** فشأنك الدهر غلاب ومنان أخلاقكم هزمتهم قبل رايتكم *** فهل تزكى بريطان وألمان لا يُبعد الله عكا إنها شهدت *** أن الوفاء مع الأنذال خسران؟

إذا قدرنا فإن الصفح شيمتنا *** وهم إذا قدروا غدر وختلان وحيثما لاح في أرجائها ذهب *** أو أبصروا النفط فالقديس قرصان "غورو" و"ريموند" و"اللنبي" وصاحبه *** كلِّ على الغي سفاح وخوان قوم تراهم وحوش الحرب ما غلبوا *** وهم إذا عجزوا للسلم حملان ألا تراهم وقد قامت قيامتهم *** لما تطلع للإسلام بلقان خاطوا الأحابيل باسم السلم واجتمعت *** رغم العداوات أحلاف وأديان لا دين للغرب إلا حرب ملتنا *** وما عدا ذاك لا تسأل بما دانوا يأبى السلاح ويعطي القوت تعمية *** فالقوم صنفان جزار وتبان وهيئة الأمم النكراء مسرحهم *** ومن وراء خيال الظل أرسان ونحن نشكو إلى الجزار خادمه *** كيلا يقال "أصوليون" "أفغان"!!

الشام أكثر أرض الله معرفة *** بغدرهم إذ غزاها منه غزوان ومثلهم ما تغشى الشام من محن *** لما تجبر هولاكو وقازان وأقبل الجحفل الجرار من تتر *** كأنما أُشعلت في الأرض نيران ولم تر الشام من يحمى محارمها *** بل فر بالخزي نواب وسلطان فقام بالأمر حبر الدهر أجمعه *** دمشق مَدْرَجُهُ والأم حرَّان قام ابن تيمية في نصر ملتنا *** كصاحب الغار والردات ألوان ما شاءت الشام من سيف ومن قلم *** ما يشتهي المجد مغوار وميزان الجهبذ البارع الماضي مهنده *** لمنهج الوحى حفاظ وصوان الفلسفات تهاوت عند صولته *** كما تهاوى أمام الضيغم الضان وحطم المنطق المفتون ناظره *** وكل ما أسست للشرك يونان وللنصارى صراخ عند جولته *** وللروافض نوَّاح وأنَّان وللتصوف أرصاد مسننة *** مثل الشهاب إذا ما ند شيطان إذا تأنق في المنقول مجتهد *** وإن تعمق في المعقول ربان كم جاء من بعده في العلم من علم *** فلم يقاربه فيما رام إنسان والكل من بحره الزخار مغترف *** تفيض منه الروايا وهو ملآن "درء التعارض" و"المنهاج" شاهدة *** وفي "الجواب" أعاجيب وبرهان وفي الفتاوى كنوز طاب معدنها *** وفي "البيان" على التعطيل بركان وفهمه في كتاب الله معجزة *** تحيّر العقل تأويل وتبيان والفقه بالحجة البيضاء حرره *** فقوله الفصل والمعيار قبّان ماذا تُعدّد من جُلِّي مناقبه *** وهل يقوم لموج البحر حسبان

وهكذا الشام ما شاخت ولا عقمت *** إذا تدفق بالإسلام شريان

عهدى بها وعرى التوحيد تجمعها *** وشأنها اليوم أحزاب وأديان فللنصارى حكومات وألوية *** وللقرامطة الأنتان سلطان وللدروز بروز في محافلها *** وللروافض نواب وأعيان أما اليهود فقل عنهم ولا حرج *** الدهر يعجب والتاريخ سكران لولا حجارة أرض الطهر ما عرفوا *** طعم العقاب ولا أصغوا ولا هانوا ثارت تزمجر والتكبير يرفعها *** وهز نخوتها قهر وعدوان هَبْ الحكومات بالإرهاب تخنقها *** أليس في صمتنا للرفض عنوان ربائب الروم بالقومية استتروا *** خانوا الشعوب وهم لله خوان يشكون بالذل مما سامهم "نتن" *** وهم من الأصل أعيار وأنتان كم أضجر الناس عهد الشجب كم لعنوا *** أبواق من نددوا باللفظ أو دانوا وللبيانات أسجاع مكررة *** يقىء منها على الإعلام أذهان ثم انتكسنا فلا شجب ولا أمل *** في الشجب فالأمر تهويد وإذعان أستغفر الله بل شجب وولولة *** إذا تخبط "رابين" و"كاهان" وأصبح الهيكل الموهوم كعبتهم *** وشيكل النحس للبترول أثمان والبعث لا بعث بل خسف ومهلكة *** بئس الشعارات إلحاد وكفران الكفر محكمة التفتيش تحرسه *** والناس صنفان ثوار وثيران قامت على نحلة التثليث دعوتهم *** فللأقانيم أشكال وألوان سودٌ خيانتهم حمرٌ جنايتهم *** وحسبهم أن إحداها "حزيران" فروا وهم في ذرى الجولان _يا عجباً ح *** من اليهود وهم في السهل ما بانوا وأعلنوا أنها في يومها سقطت *** والساقطون هم الحكام إذ خانوا لم يسكتوا وضباب الرعب يغمرهم *** عند النزال ولاهم للحمى صانوا وللعمائم تطبيل وبهرجة *** يغار إبليس منها وهو فتان وربما أخَّر الدجال مخرجه *** إذ لا مكان له والقوم جيران

أهذه الشام أم عيناك زائغة *** وربما زاغ طرف وهو يقظان وشْيٌ بديع كسوناه حضارتنا *** كيف انطوى فهو أطمار وخلقان فانفض يديك من الدنيا وزينتها *** فإنما هي أطياف وأطيان واتل الرثاء على الأطلال مفتتحاً *** لكل شيء إذا ما تم نقصان مهما غلا الدمع فالمأساة ترخصه *** أو لم تجد فاستدن فالصب يدّان أهل الصبابة دعواهم مُزَوَّقة *** لولا المدامع ما بروا ولا مانوا واعجب لنا كيف صار الضيم يجمعنا *** فنحن في القيد أقران وإخوان وانظر إلى موطن الأبدال مرتهناً *** يلهو بمغناه دجال وزفان يقول يا رب هذا الليل أثقلني *** فهل له آخر بالفجر مزدان وهل إلى رمق بالبشر معتنق *** يزفه مورد بالعز ريان

أو تنقضي هذه الأحشاء ذاوية *** وتنضب الروح والمشتاق ولهان **

لا، ليس لليأس درب في مشاعرنا *** مهما تناوب للأرزاء حدثان بقية السيف بالأبطال ممرعة *** والثأر جرح فإعصار فطوفان وللبطولة عشق لا يبدده *** وصل ولا يعتريه الدهر سلوان وللعقيدة آساد مشمرة *** لكن تكنفها قهر وطغيان هم الأحبة إن زاروا وإن هجروا *** هم الأخلاء إن حلوا وإن بانوا أرض البطولات يا أسمى معاقلنا *** إذا ألمَّ بدين الله عدوان ذات القرون إذا حانت مالحمها *** ففي رحابك فسطاط وميدان نجوز تيه الفيافي كي ننازلها *** ونمتطى البحر نصواً وهو هيجان ونركب الخيل عرياً وهي حانقة *** وللمنايا كلاليب وأشطان نقارع الموت والأهوال محدقة *** ونعتلي الريح والأجواء نيران أتعجبين لأن الكفر أوثقنا *** حيناً وقد شهدت بالنصر أحيان أم تجزعين لأن الظلم فرقنا *** أللمشاعر حراس وخزان؟! هذي الحدود رماح في محاجرنا *** فليزعموا أن هذا القلب أوطان من وقعوا "سايكس بيكو" وإخوتها متى *** اعترفنا بهم؟! هل نحن قطعان الحمد لله حبل الله يجمعنا *** فلا تفرقنا قيس وقحطان أم تعتبين فبعض الصفح موجدة *** للمستهام وبعض العتب غفران والله لا نستقيل الحب ما برحت *** منا على البعد أكباد وأجفان فليكتب الأرز ولتملل ضمائرنا *** ما شئت من موثق وليشهد البانال

المصدر: لجينيات

المصادر: